زنادقة الاندلس بين مقاومة العلماء ورهانات السلطة

فتنة أبي الخير وابن حاتم الطليطلي من خلال نوازل عيسى بن سهل الأندلسي (ت486هـ/1093م)

-دراسة مقارنة

The heretics of Andalusia between the resistance of scholars and the bets of authority
The strife of Abu al-Khair and Ibn Hatim al-Talitoli through catastrophes
Issa bin Sahl Al-Andalusi (d. 486 AH / 1093 AD)
-A comparative study

ورقة علمية مقدّمة للمشاركة في فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بـ:

"جهود علماء الغرب الإسلاميّ في معالجة الآفات الاجتماعية"

بمخبر البحث في الدراسات الأدبية والانسانية كلّية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة.

يومي الاثنين والثلاثاء

25– 26 شوال 1444 هـ

الموافق لـ 15– 16 ماي 2023م

اسم ولقب المؤلف الأول: طالب دكتوراه سعيدي زكرياء

الدرجة العلمية والعنوان المهني: جامعة غرداية

البريد الإلكتروني المهني: saidi.zakaria@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام:../../2023 تاريخ القبول: ../../2023. تاريخ النشر: 25/09/ 2023

الملخص:

يتناول موضوع مداخلتنا دراسة مقارنة بين أخطر حركات الزندقة في بلاد الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، من خلال نوازل الإمام عيسى بن سهل الأندلسي (ت486هـ/1093م)، وتتضمن حركتي أبي الخير وابن حاتم الطليطلي، وهما من أكثر الحركات التي لفتت انتباه العلماء وحتى العامة، نظرا لما حملته أفكارهما من انحرافات عقدية وسلوكية، جعلت العلماء ومن بعدهم السلاطين يقفون صفا واحدا لمحاربتها. وتأتي أهمية هذا الموضوع في دراسة البنية الفكرية لسيرورة الحركة الثقافية في الأندلس، ومختلف تجلياتها المذهبية والأيديولوجية، وتحاول هذه الدراسة الوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بين هاتين الحركتين، للوصول إلى حقائق تاريخية تؤكد جهود العلماء والأمراء في الضرب بالحديد على كل ما هو دخيلا على مذهب أهل الأندلس.

الكلمات المفتاحية: الزندقة؛ الأندلس؛ نوازل ابن سهل؛ أبو الخير؛ ابن حاتم الطليطلي

Abstract:

The topic of our intervention addresses a comparative study of the most dangerous heretical movements in Andalusia during the second half of the fourth century of the Islamic calendar (tenth century CE) through the Naważil of Imam Issa Ibn Sahl al-Andalusi (d. 486 AH/1093 CE). The study includes the movements of Abi al-Khair and Ibn Hātim al-ṬulayṬulī, which were the major movements that have drawn the attention of both scholars and the general public, due to the deviant beliefs and behaviors conveyed by their ideas. This made the scholars and subsequent rulers stand united in combating them. The importance of this study lies in examining the intellectual structure of the process of the cultural movement in Andalusia and its various sectarian and ideological manifestations. The study attempts to identify the similarities and differences between these two movements, to reveal historical facts that confirm the efforts of scholars and Emirs in eradicating any deviation from the doctrine of the people of Andalusia.

Keywords: Heresy; Andalusia; Nawaẓil of Ibn Sahl; Abi al-Khair; Ibn Hātim al-ṬulayṬulī.

مقدمـة

شكلت كتب النوازل مصدرا تاريخيا هاما؛ وذلك بما احتوته من معطيات تاريخية متنوعة، مست جميع الجوانب الإنسانية وقد لقيت في الفترة الأخيرة اهتمام الباحثين والدارسين في مجال التاريخ، حيث أصبحت مقصدا لهم لسد الكثير من الثغرات التاريخية عند دراستهم لمختلف الجوانب الاجتماعية والفكرية وحتى السياسية والاقتصادية. ولأنها مؤلفات فقهية بالأساس فقد عالجت قضايا الزندقة والبدع والفرق والنحل التي شهدتها بلاد الغرب الإسلامي. وتعتبر حركة الزندقة احدى هاته القضايا الفكرية التي أسالت الكثير من الحبر بين الفقهاء والعلماء خاصة في بلاد الاندلس، وقد أتخذت منها مواقف متعددة سواء من الأمراء والخلفاء أو من الفقهاء والعامة أيضا، ولا يستغرب كثيرا موقف السلطة الدينية والسياسية في الأندلس التي حرص امراؤها وخلفائها الأمويون دائما على الحفاظ على وحدتها المذهبية والفكرية؛ بما يضمن لهم تحقيق شيء من الاستقرار الداخلي نظرا للمركز المتقدم لهذا الثغر الإسلامي في مواجهة القوى النصرانية. هذا ما جعلهم يقفون صفا واحدا لمحاربة الفكر الإلحادي أو الزندقة في كل فترات الحكم الإسلامي لهذه البلاد.

وجاء تركيزنا على كتاب ديوان الأحكام الكبرى أو نوازل عيسى ابن سهل الأسدي نظرا للقيمة التاريخية الكبيرة لهذا المؤلف، ولما اكتسبه من شهرة وفائق عناية عند جماهير النخب الفكرية في الغرب الإسلامي. وقد حملت الدراسة عنوان :" زنادقة الاندلس بين مقاومة العلماء ورهانات السلطة (فتنة أبي الخير وابن حاتم الطليطلي من خلال نوازل عيسى بن سهل الأندلسي (ت486هـ/1093م) -دراسة مقارنة-.

ولدراسة هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية: كيف كانت جهود العلماء والأمراء في مواجهة حركات الزندقة في الأندلس أبي الخير وابن حاتم الطليطلي؟ وما هي عناصر التشابه والاختلاف بين الحركتين؟

ولتتبع زوايا هذه الإشكالية؛ ارتأينا أن نبدأ في المحور الأول بالتعرف على حركات الزندقة بالأندلس من حيث إرهاصاتها والخلفيات التي انطلقت منها، وذلك بعدما اشرنا إلى مفهومها كمصطلح شرعي رافق كتب الفقه والعقائد والتراجم، وحاولنا إعطاء بعض النماذج التي تشرح تطور وتنوع هؤلاء الزنادقة بين مدعي النبوة وأصحاب الأهواء والانحرافات من خلال المصادر التاريخية المتوفرة، والمحور الثاني تناولنا فيه ترجمة لعيسى بن سهل الأسدي والتعريف بكتابه ديوان الأحكام الكبرى مع الإشارة إلى أهميته التاريخية، وفي المحور الأخير قمنا بعرض وتحليل لفتنتي أبي الخير وابن حاتم الطليطلي، وتتبعنا أحداثها ووقائعها، ومواقف السلطتين الدينية والسياسية منهما، وأخيرا قمنا

باستخراج نقاط التشابه والاختلاف بين القضيتين بناء على عدة معايير ومحددات مكنتنا من اجراء مقارنة منهجية واضحة.

وتجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا على نسخة ديوان الأحكام الكبرى طبعة دار الحديث وقمنا بمقارنتها مع نسخة ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، لأن طبعة دار الحديث فيها تصحيفات كثيرة وأخطاء تؤثر على مصداقية الدراسة. وقد اعتمدنا في الدراسة على استخدام المنهج التاريخي مع ما يتضمنه من أدوات التحليل والتعليل والوصف والاستقراء، للوقوف على تفاصيل الموضوع بشكل منهجي، من أجل الوصول إلى نتائج علمية وتاريخية سليمة.

أولا: حركات الزندقة في الأندلس (الارهاصات، الخلفيات)

1- مفهوم حركة الزندقة :

لن نتعرض في هذه الدراسة إلى التعريفات اللغوية لمصطلح الزندقة[1] ، لأنه يمكن الرجوع إلى ذلك في بطون المعاجم والمصادر اللغوية المتعددة، وما يهمنا هو تحديد مفهومه الاصطلاحي الشرعي خصوصا، لأنه هو الذي ترتب عليه تلك المواقف المختلفة من العلماء والأمراء في حظيرة الإسلام والمسلمين.

قال: التفتازاني في "مقاصد الطالبين في أصول الدين": الكافر إن أظهر الإيمان خص باسم المنافق، وإن كفر بعد الإسلام فبالمرتد، وإن قال بتعدد الآلهة فبالمشرك، وإن تدين ببعض الأديان فبالكتابي، وإن أسند الحوادث إلى الزمان واعتقد قدمه فالبدهري، وإن نفى الصانع فبالمعطل، وإن أبطن عقائد هي كفر بالاتفاق فبالزنديق[2]. قال مالك – رحمه الله –: النفاق في عهد رسول صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم، فيقتل الزنديق إذا شهد عليه بها دون استتابة، لأنه لا يظهر ما يستتاب منه[3].

---

[1] – اختلف الباحثون في أصل كلمة الزندقة اختلافا كبيرا، فمن قائل: إنه إغريقي، ومن قائل إنه آرامي، ومن قائل: أنه فارسي معرب عن زنديك، وهذا الأخير هو الراجح. وهذه الكلمة كانت تطلق على المؤمن المخلص من اتباع ماني، وبذلك يكون معنى الزنادقة هم أصحاب ماني المفكر المصلح الذي اعلن الثورة الاجتماعية على الزرادشتية. ينظر: حسين عطوان، **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 12-13

[2] – محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت1353هـ/1934م)، **إكفار الملحدين في ضروريات الدِّين**، المجلس العلمي، باكستان، ط3، 2004، ص 12-13 .

[3] – إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري (ت799هـ/1397م)، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، ج2، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1986، ص 279 .

والزنديق وهو الذي يظهر منه على كفر يسره وهو مع ذلك يدعي الإسلام، وقد اختلف فيه العلماء، فقال مالك يقتل ولا يقبل منه الإيمان إذا أسرته المنية قبل أن يتوب ويراجع الإيمان[1]. ويبدو أن هذا اللفظ قد اتخذ ألوانا عدة عند المسلمين حسب كل فترة، ووفقا لظروف كل عصر[2]، ولا يوجد شك في أن كثيرا من الزنادقة كانوا مانوية، غير أنه كان بجانبهم عناصر أخرى تعتنق ديانات فارسية قديمة، وكل من يعتقد بملة من هذه الملل يُعد زنديقا[3]، فالزندقة كانت تعني في أول الأمر المانوية، ثم تطورت دلالتها شيئا فشيئا حتى صارت تشمل كل الملحدين والمتشككين في الدين [4].

لم تظهر الزندقة في المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري، لأن الخلافة الأموية كانت في أوج عزتها وعنفوان قوتها، وكانت بالمرصاد لكل أصحاب الملل المناقضة للإسلام، لذلك فإن نشأة الزنادقة كانت في القرن الثاني الهجري، وكان عددهم محدودا ونشاطهم في غاية السرية[5].

يمكن القول أن الزندقة هي حركة دينية سياسية، ابتغى أصحابها بعث الديانات الثنوية الفارسية، وكان أكثرهم يعتنقون المانوية خاصة، وكان أهل الإباحة منهم يتأثرون المزكية أيضا. وقد دبروا لطمس العقيدة الإسلامية، وتقويض الدولة الإسلامية، سعيا منهم لإعادة الدولة الفارسية الثنوية[6]. وقد استخدم مصطلح الزندقة للتعبير عن كل الأنشطة التي تهدد أمن واستقرار الدولة[7].

2- الزنادقة في الاندلس

على الرغم من أن هذه الظاهرة نشأت بالمشرق الإسلامي وترعرعت فيه متأثرة بالديانات الفارسية الشرقية القديمة، الا أنه وجد الكثير من مظاهرها بالغرب الإسلامي وخاصة الأندلس، حيث أشارت كتب النوازل والفرق للكثير من مظاهرها. وهناك جملة من العوامل أدت إلى ظهورها، من أهمها؛ ذلك المناخ السائد من اختلاط وتنوع

[1] – أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت 474هـ/1082م)، **المنتقى شرح الموطأ، ج6**، ط1، مطبعة السعادة، مصر، القاهرة، 1914، ص 250 .

[2] - Zainab Ahmedond ,**The role Zandaghah in Iranian uprisings against Arabs In the first centuries AH**, The Islamic University college Journal, The Islamic University of Najaf, No:63, Part:2, p 07.

[3] – حسين عطوان، المرجع السابق، ص 14 .

[4] – نفسه، ص 15 .

[5] – هاني السيد سباعي يوسف، **زنادقة الأدب والفكر قراءة في تاريخ الزندقة قديما وحديثا**، نسخة المكتبة الشاملة، ص 8 .

[6] – نفسه، ص 5 .

[7] – Maria Isabel Fierro Bello, **Accusations of 'Zandaqa' in al-Andalus**.

الأعراق والثقافات الذي عرفه المجتمع الأندلسي فضلا عن أهل الذمة [1]، إضافة إلى ما يسميه بعض الباحثين بالعبث الفكري، وهي حالة نفسية عنيفة تتملك أصحاب هذا التيار فتدفعهم لما هو اشبه باللهو الفكري والمجون الشكي[2]. كما كان للعامل السياسي دور هام، فالأخطار الخارجية متمثلة في المد الرافضي الفاطمي الذي حاول تقويض الخلافة في الأندلس فأرسل دعاته، وسعى الى زعزعة الاستقرار ببث سمومه وافكاره، وهو ما تعبر عنه حركة أبي الخير التي سنتناولها بالتفصيل في عناصر الدراسة .

ظلت الأندلس قلعة حصينة فلم تغزها تلك الآراء والأفكار المبتدعة ومناهج أهل الكلام ومذاهبهم، كما شاع فيها التسامح الديني بصور تدعوا إلى الفخر والاعتزاز أحيانا، بينما خلت من التسامح مع المذاهب الفقهية الأخرى، حتى قال عنها ابن حزم – رحمه الله: " ...فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب –يقصد علم الكلام–، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال ... وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك[3]" . وتختلف هذه الصورة عن تلك التي طرحها مؤرخ مشرقي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي هو المقدسي الذي أشار الى ان أهل الاندلس كانوا يتبعون المذهب المالكي فحسب ويقرأون القرآن على طريقة نافع، وكانوا لا يعرفون سوى القرآن وموطأ مالك، وأنهم إذا عثروا على شافعي أو حنفي كانوا يطردونه، وإذا امسكوا بأحد المعتزلة أو الشيعة كانوا أحيانا يقتلونه [4].

تعتبر دعوى النبوة من أهم أشكال الزندقة، فهذا أحد المعلمين كان قد ثار في شرق الأندلس وادعى النبوة عام 237هـ/851م، وقد روج تأويلا غريبا للقرآن، وكان شعاره (لا تغيير لخلق الله)، وشرع تحريم قص الشارب والأظافر ونتف الإبطين والاستحداد. وكان مصيره الصلب، وقد ردد أثناء صلبه[5] قول الله تعالى ((أتقتلون رجلا يقول ربي الله)) [6] .

[1] – فاطيمة هارون، **مظاهر الزندقة بالأندلس من خلال كتاب "الاعلام بنوازل الأحكام" للقاضي عيسى بن سهل الأسدي**(ت486هـ/1094م)، مجلة المعيار، جامعة العوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، مجلد 25، العدد 55، 2021، ص327 .

[2] – عبد الرحمان بدوي، **من تاريخ الالحاد في الإسلام**، سينا للنشر، القاهرة،ط2، 1993، ص 35-36 .

[3] – شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج3، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 176 .

[4] – ماريا ايزابيل فييرو(Maria Isabel Fierro)، **الزندقة والبدع في الأندلس**، تر: يعقوب دواني، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مج2 . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 1242 .

[5] – المرجع السابق، ص 1252 .

[6] – سورة غافر: الآية 28

كان عباس ابن فرناس[1] (247هـ/861م) في أيام الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن، من أعلام العصر الأموي، وهو فيلسوف ورياضي، شغف بدراسة الفلك والفلسفة والكيمياء، حتى برع فيها وصار من كبار علماء عصره[2]. حيث كان يجري جميع تجاربه على الملأ من المقربين إليه والمهتمين بالعلم؛ فمنهم من استفاد ومنهم من اتهمه بالسحر والشعوذة، وأدى كثرة انشغاله بالكيمياء إلى اتهام الناس إليه بالسحر واتهم بالزندقة[3] .

أخذت قضية العالم الكبير بقي بن مخلد القرطبي[4] (ت276هـ/889م) انتشارا واسعا، حيث اتهمه مالكية الأندلس بالزندقة. والرجل من الأوائل الذين أدخلوا كتب الإمام الشافعي إلى الأندلس، وكان من معارضي الرأي[5]. وهو أول من نشر الحديث بالأندلس حيث ثار عليه شيوخها، لأنه كان علمهم بالمسائل ومذهب مالك، وكان بقي يفتي بالأثر، فشذ عليهم شذوذ عظيم، فعقدوا عليه الشهادات، وبدّعوه، ونسبوا إليه الزندقة، وأشياء نزهه الله منها[6]. والظاهر أن المالكية لم يكونوا يخشون الفرق الأخرى بقدر خشيتهم من مذهب أهل الأثر، فرغم محاولاتهم لتأليب الأمير ضد بقي ابن مخلد إلا أنهم أخفقوا لأن السلطة لم ترى فيه خطرا يهدد الدولة[7] .

وأما محمد بن مسرة القرطبي (ت319هـ/931م)، الذي أظهر نسكا وورعا واعتزالا للناس، فاغتروا بظاهره واختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم أظهر الناس على سوء معتقده وقبح مذهبه فانقبض عنه من كان له إدراك وعلم بحجره، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل، فدانوا بنحلته وبثوا في الناس مذهبه[8]. وكانت له إشارات

---

[1] – ينظر ترجمته عند محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت 379هـ/989م)، **طبقات النحويين واللغويين** ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، ص 268 -270 .

[2] – المقري، **المصدر السابق**، ج4، ص 177-178.

[3] – عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مج1، ط4، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، 1997، ص 704 .

[4] – الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي، القرطبي، الحافظ، صاحب (التفسير) و (المسند) اللذين لا نظير لهما. ينظر ترجمته عند: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، ج13، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1998، ص 285 .

[5] – ماريا ايزابيل فييرو، **المرجع السابق**، ص 1245 .

[6] – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ/1348م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام**، مج6، تح: بشار عوّاد معروف، ط1، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص 520 .

[7] – ماريا ايزابيل فييرو، المرجع السابق، ص 1250 .

[8] – ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت468هـ/1076م)، **المقتبس لابن حيان**–الجزء الخامس–(القطعة الرابعة)، تح: شالميتا مستعينا بكورينطي ومحمود صبح، مدريد، المعهد الاسباني العربي للثقافة، 1989، ص 32-33 .

غامضة ومقالات ردية فتتبعت مصنفاته بالحرق[1] . وقد عاقبت السلطة السياسية اتباعه وكل ما يمت له بصلة في عهد عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-961م)[2] .

وفي عهد المنصور بن أبي عامر إبّان خلافة هشام الثاني ظهر بعض الزنادقة في فنون عدة؛ كالشعر والكلام والفلسفة والمنطق، من أمثال ابن الإفليلي (ت441هـ/1050م) وسعيد بن فتحون السرقسطي، اللذان انتهى بهما الأمر إلى أن نفي سعيد بن فتحون من الأندلس، وسجن ابن الإفليلي[3] .

ومن العلماء الذين اتهموا بالزندقة في الأندلس نجد أبو الوليد الباجي(ت474هـ/1082م)[4]، الذي أخذ بظاهر لفظ حديث المقاضاة في صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب، الأمر الذي أثار استياء علماء وفقهاء مدينة دانية[5]، فأنكروا إجازته الكتابة على النبي الأمي، وكفَّروه بتكذيب القرآن الكريم، فهوَّلوا أمره، وأخذت هذه المسألة طابع الفتنة، وهو ما أفضى في الأخير إلى مناظرة عقدها الأمير بين أبي الوليد وخصومه ثم استحسن أمير دانية إرسال هذه المسألة إلى جماعة من علماء الأمصار ليطلع على رأيهم ويتعرَّف على المزيد فيها، وذلك تلبية لرغبة أبي الوليد لاستظهار صدقه وصحة قوله، وجاءت موافقات العلماء لرأي أبي الوليد وتصويباتهم لنظره وتأويله، كما كانت أجوبتهم تحمل في طياتها ثناء عليه وإقرارًا بفضله وعلمه[6] .

---

[1] – أبي نصر الفتح بن خاقان الإشبيلي، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح: محمد علي شوابكة ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983، ص 287 .

[2] – زكرياء سعيدي، **حركة ابن مسرة القرطبي من خلال كتاب المقتبس لابن حيان الأندلسي** 3-4هـ/9-10م، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، المجلد6، العدد02، 2022، ص 198 .

[3] – ماريا ايزابيل فييرو، المرجع السابق، ص 1250 .

[4] – هو أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد الإمام، العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، ولد سنة 403هـ/1013م، من علماء الأندلس وحفاظها، سكن شرق الأندلس، فأقام بمكة مع أبي ذر، ثم رحل إلى بغداد فأقام يدرس الفقه ويقرأ الحديث، ولقي بها سادة من العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأقام بالموصل مع أبي جعفر السمناني عاماً يدرس عليه الفقه، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر، وكان قد رجع إلى الأندلس، وولي القضاء هناك، توفي عام 474هـ/1082م. ينظر :شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، (1985)، **سير أعلام النبلاء**، مج18، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ص ص 535-545. أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/1150م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ج7، تح: سعيد أحمد أعراب، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1981-1983، ص 35-36 .

[5] – مدينة بشرق الأندلس على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة، ولها قصبة منيعة جداً، وهي على عمارة متصلة وشجر تين كثيرة وكروم، والسفن واردة عليها صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص 231-232 .

[6] – أبو الوليد الباجي الأندلسي، **الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل**، تح: محمد علي فركوس، ط1، المكتبة المكية، مكة المكرمة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 199، ص 110-111 .

والأمثلة أكثر من أن تحصى، إلا إنه يجب أن نشير إلى أن الزندقة أو الابتداع لم تعد تقتصر على إنكار التوحيد أو أركان الإيمان، أو تعطيل الشريعة بل أصبحت مفهومين عامين يضمان كل التوجهات الفكرية وغيرها من الاشتغال بالعلوم غير الدينية؛ كالفلسفة وعلم الكلام والمنطق، وأضحى صاحبه يسمى زنديقا[1] .

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن اطلاق مصطلح الزنديق في الأندلس على مستويين متباعدين كثيرا، المستوى الأولى هم طائفة خرجت عن الدين الإسلامي بالكلية، وجاءت بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان، وهي أقرب للكفر منها للإيمان، والطائفة الثانية هم مجموعة من العلماء والفقهاء كان لهم رأي واجتهاد في بعض القضايا الشرعية خاصة ما مست أمور الاعتقاد فخالفوا بها مالكية الأندلس وفقهاهم، فدفعهم إلى رميهم بالزندقة واتهامهم بالكفر. وعلى هذا الأساس جاءت ردود فعل الأمراء ومواقفهم التي حسمت الصراع بين الفقهاء وخصومهم أو عاقبت الخصوم بالسجن أو القتل.

ثانيا: ترجمة الامام عيسى بن سهل الأندلسي

هو أبو الاصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني[2] ولد سنة 413هـ/1022م[3]، من كبار العلماء والفقهاء المالكية في الأندلس، يقول عنه ابن بشكوال:" من جلة الفقهاء وكبار العلماء، حافظا للرأي، ذاكرا للمسائل، عارفا بالنوازل، بصيرا بالأحكام ... "[4]. والده سهل بن عبد الله الأسدي[5] (ت440هـ/1048م) من أهل العلم والصلاح تولى الصلاة والخطبة بحصن القلعة حيث مقر سكنه[6].

[1] – رقية بن خيرة، **الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين**(ق11-12م) –دراسة في ظاهرة الانحراف–، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، 2017، ص 122 .

[2] – مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير وسائر الحبوب .ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت 900هـ/1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، ط2، 1980، ص 183 .

[3] – ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1138م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، ط2، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، 1955، ص 415 .

[4] – نفسه .

[5] – ينظر ترجمته عند: الكتاب: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، ج4، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، 1995، ص 125 .

[6] – عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت486هـ/1093م)، **ديوان الاحكام الكبرى**، تح: يحي مراد، دار الحديث ، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص9 .

كانت بدايته الأولى في طلب العلم في مدينته على يد كل من الفقيه هشام بن عمر بن سوار الفزازي الجياني، والفقيه بكر بن عيسى بن سعيد الكندي (ت454هـ/1061م)، ثم ارتحل إلى غرناطة فأخذ عن الفقيه أبي زكرياء يحي بن محمد حسين الغساني (ت442هـ/1050م)، وروى عنه كتاب الموطأ[1] .

بعد هذا تجول ابن سهل كثيرا في بلاد الأندلس لينهل من علوم علمائها وفقهائها، فوصل قرطبة وعمره 24 سنة، ولقي بها المقرئ مكي بن أبي طالب (ت437هـ/1045م)، وسمع من الأديب اللغوي محمد بن عبد الرحمان بن يحي العثماني القرطبي (ت443هـ/1051م)، ومن أبرز شيوخه الذين لازمهم طويلا أبو عبد الله محمد بن عتاب القرطبي(ت462هـ/1069م)، وكان اماما متصرفا حافظا نظارا مستنبطا بصيرا بالأحكام، وروى عنه العديد من الكتب. وأيضا حاتم بن محمد بن عبد الرحمان الطرابلسي (ت469هـ/1076م)، ثم انتهى إلى مدينة بياسة حيث تولى القضاء بها، ولم يلبث أن خرج منها ورجع إلى قرطبة[2].كما أنه مكث في طليلطة ولقي العديد من فقهائها، ولكنه تركها بسبب خلاف وقع بينه وبين أحد فقهائها، وعاد إلى قرطبة مرة أخرى، حيث اشتغل بالكتابة.

انتقل ابن سهل إلى اشبيلية ثم إلى المغرب سنة 468هـ/1076م، فزار ومكث في بعض مدنها مثل سبتة التي اشتغل فيها مدرسا للفقه، وطنجة التي تولى فيها خطة القضاء زمن يوسف بن تاشفين، وتخرج على يديه الكثير من الطلبة في هذه البلاد[3]. وقد برز نشاطه السياسي أيضا لما عينه الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سفيرا له على إثر الظروف السياسية التي مرت بها الأندلس، فقد كانت له جهود في تشجيع المرابطين على الدخول إلى الأندلس وإسقاط ملوك الطوائف[4] .

وبعد حياة عامرة بالعلم والعمل توفي عيسى بن سهل بغرناطة بعد عزله عن القضاء سنة 486هـ/1094م[5]، وقد ترك مجموعة من المؤلفات عددها خمسة كتب[6]، وهي: كتاب الإعلام بنوازل الأحكام، شرح عيسى بن سهل لصحيح البخاري، فهرسة شيوخ عيسى بن سهل، كتاب ابن سهل في الرد على ابن حزم الظاهري، رسالة ابن سهل إلى ابن حزم .

---

[1] – نفسه .

[2] – نفسه .

[3] – **المصدر السابق**، ص 12 .

[4] – فاطيمة هارون، **المرجع السابق**، ص328 .

[5] – ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ص 415 . أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (ت 792هـ/1390م) **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)** تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1983، ص 97 .

[6] – عيسى بن سهل، **المصدر السابق**، ص 19-21 .

ثالثا: التعريف بكتاب نوازل بن سهل

هناك عدة ألقاب وتسميات لهذا الكتاب، فقد جاء في بعض النسخ الخطية بعنوان " الإعلام بنوازل الأحكام وقِطر من سِير الحُكام"، ويسميه أهل التراجم وكتب الطبقات بـ " الإعلام بنوازل الأحكام"، أما كتب المذهب المالكي فتطلق عليه في أدبياتها اسم " أحكام ابن سهل" أو " نوازل ابن سهل" [1].

والكتاب يندرج ضمن مؤلفات الفتاوى والنوازل، حيث جمع فيه صاحبه وقائع ونوازل كانت محل نظر واجتهاد، سواء حدثت له أو جرت على يدي بعض الحكام من معاصريه، وقد استطلع فيها رأي من أدركه من الشيوخ والعلماء وأكابر الفقهاء[2]. وقد حقق الكتاب الدكتور يحي مراد، وهو يقع في مجلد واحد ضخم الحجم، يحوي على 752 صفحة، طبعته دار الحديث بالقاهرة سنة 1428هـ/2007م. ولم تتوفر لدينا إلا هذه النسخة، والتي نبه بعض الباحثين إلى ما فيها من الأخطاء والتصحيفات[3].

وتعتبر هذه النوازل من أبرز الكتب الفقهية للأندلسيين التي اهتموا بها وأولوها عناية كبيرة، تعليقا وأخذا وتدريسا من الخاصة منهم أو العامة، ويتبين ذلك في ما أورده ابن فرحون في الديباج عن أبي بكر بن العربي المعافري(543هـ/1149م) أنه قال :"... وصار الصبي إذا عقل وسلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ثم نقلوه إلى الأدب ثم إلى الموطأ ثم إلى المدونة ثم إلى وثائق ابن العطار ثم يختم له إلى أحكام بن سهل ... "[4] . وتبرز أهمية هذا الكتاب في احتوائه على فصول وأبواب كثيرة في الأقضية والأحكام التي يحتاجها القضاة والحكام، مثل قضايا النكاح والطلاق والوصايا، ... إلخ، وتزداد أهميته التاريخية إذا نظرنا إلى أن المؤلف قد أفرد فصلا لتراجم بعض الأعلام الأندلسيين سماه: " تسمية الفقهاء وتاريخ وفاتهم" حيث ترجم فيه لأربعة وستين (64) علما[5].

كما نقل عن ابن سهل جمع من العلماء في مؤلفاتهم؛ نذكر منهم : أبو عبد الله محمد بن القاسم بن أبي حمراء قاضي بطليوس في كتابه "المقنع في الشروط"، وأيضا القاضي أبو الفضل عياض في كتابه "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"، ومنهم أيضا أبو محمد عبد الله بن سلمون الكناني الفقيه الأندلسي في كتابه "العقد المنظم

---

[1] – الرابطة المحمدية للعماء، **الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام لعيسى بن سهل الجياني** (2015/03/24)، https://www.arrabita.ma/blog/ (06/04/2023)، 22:40.

[2] – المرجع السابق .

[3] – نفسه .

[4] – ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج1، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 384 .

[5] – ابن سهل، **المصدر السابق**، ص 743 .

للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام"، وكذلك أبو الحسن النباهي المالقي في كتابه "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"[1].

رابعا: المقارنة بين حركتي أبي الخير وابن حاتم الطليطلي

1- فتنة أبي الخير (عرض وتحليل)

تنسب هذه المسألة إلى الزنديق أبي الخير ويسميه البعض بأبي الشر[2]، حيث تسكت المصادر التاريخية عن تقديم ترجمة له أو بعضا من شخصيته وأصوله، لكن يؤكد الكثير من الباحثين أنه أندلسي وليس مشرقيا، بسبب إتقانه للغة اللاتينية[3]، وتعرّف بعض الشخصيات المحلية عليه، حيث كانت له معها مناقشات وسجالات طويلة حاول من خلالها إقناعها بمذهبه الغريب. وقد اتسمت شخصيته بالذكاء والفصاحة والبلاغة وهذا ما جعل الكثير يذهب إلى اعتباره من الدعاة الفاطميين لقوة إقناعه واستمالته لقلوب الناس من حوله، ونشاطه السري في بث أفكاره[4]، كما أنه كان جاسوسا شيعيا يعمل لصالح الفاطميين[5]. أما الإطار الزماني لهذه الفتنة فقد حدثت في مدينة قرطبة مع بداية حكم الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م)[6].

وقد شهد على هذا الزنديق خمسة وأربعون (45) شاهدا؛ قبِل منهم صاحب الشرطة قاسم بن محمد[7] شهادة ثمانية عشر (18) رجلا[8] أغلبهم من العدول والثقات من حلمة القرآن وطلبة العلم وحجاج ومجاهدون[9]

---

[1] – نفسه، ص 5 .

[2] – شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج1، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1939، ص 221 .

[3] – ذكر أحد الشهود شهادة تثبت أنه كانت يتكلم بالأعجمية. ينظر: عيسى ابن سهل، **ثلاث وثائق**، ص 64.

[4] – أبو الاصبغ عيسى بن سهل الاندلسي، **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس**(مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، مصر، ط1، 1981، ص48 .

[5] – ايزابيل بيرو، **المرجع السابق**، ص 1251 .

[6] – ابن سهل، **ثلاث وثائق**، ص 43 .

[7] – قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار: مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك. من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا محمد. كان يذهب مذهب الحجة والنظر، وترك التقليد، ويميل إلى مذهب الشافعي. ينظر: ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت 403هـ/1013م)، (1988)، **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، ط2، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ص 397-398 .

[8] – ابن سهل، **ديوان الاحكام الكبرى**، ص 720 .

[9] – ابن سهل، ثلاث وثائق، ص 94 .

ينتمون إلى أُسر أندلسية عريقة[1]، بعدما سمعوا وشاهدوا آراء أبي الخير التي تهاجم أهل السنة، والتي كان قد سجلها في كتب كان ينشرها بين مريديه سرا[2].

أما الضلالات والانحرافات التي تبناها فقدت تنوعت كثيرا؛ وتتضح شدة خطورتها في إشارة وردت عند ابن سهل فيما رواه عن إسحاق بن إبراهيم قوله:"... لم أسمع باجتماعها في أحد ممن شهد عليه بالإلحاد وعرف به أو نسب إليه منه قديما وحديثا"[3]، ويمكن إيجازها في النقاط التالية[4] :

- ✓ الخروج على المذهب الرسمي للدولة (المالكي) والدعوة إلى المذهب الشيعي الباطني، وان الأحقية في الخلافة للمعز لدين الله الفاطمي، وإنكاره أحقية الحكام الأمويين، وبالتالي قلب نظام الحكم.
- ✓ التحريض على استخدام القوة العسكرية للثورة على الخليفة، واحتلال مدينة الزهراء عاصمة الدولة، خاصة بعدما استولى القائد الفاطمي جوهر الصقلي على مدينة فاس.
- ✓ إيمانه بعقائد الرافضة والباطنية، كالتقية والتستر على آرائه وكتمانها، حفاظا على نفسه وماله وعرضه، وهي من أركان المذهب الفاطمي. ودعواه بأحقية علي بن أبي طالب بالنبوة .
- ✓ سب الصحابة رضي الله عنهم ، وخاصة أبا بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم .
- ✓ إنكار الشفاعة وتخليد العصاة من الموحدين في النار.
- ✓ قوله أن القرآن خُرافة وبعضه لا شيء –قبّحه الله–.
- ✓ الإباحية وافراطه في الشراب والزنا واللواط، وعدم أداء الصلوات جمعة وجماعات.

ويأتي موقف العلماء والفقهاء المالكية في الأندلس من هذه المسألة عندما ثبتت التهمة على أبي الخير، وجمع الشهود عليه عرض صاحب الشرطة قضيته على جمع من العلماء وشاورهم في أمره، من هؤلاء قاضي الجماعة منذر بن سعيد[5]، وإسحاق بن إبراهيم[1]، وصاحب صلاة الجماعة أحمد بن مطرف[2] وغيرهم، واجمع كلهم على أن

---

[1] – ابن سهل، **ثلاث وثائق**، ص 49 .

[2] – نفسه، ص 49 .

[3] – ابن سهل، ثلاث وثائق، ص 91 .

[4] – نفسه، ص 57 وما بعدها .

[5] – هُوَ مُنْذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن قَاسم بن عبد الْملك ابْن نجيح النفري، ولى قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالماً فقيهاً، وأديباً بليغاً، وخطيباً على المنابر وفي المحافل مصقعاً . ينظر: الحميدي: أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت 488هـ/1096م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، القاهرة، مصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966، ص 348 . النباهي، **المصدر السابق**، ص 66 وما بعدها .

أبا الخير ملحد كافر وجب قتله من غير أن يُعذر إليه بعد علم أمير المؤمنين بخبره، وقد أشارت جماعة من الفقهاء –لم يذكر ابن سهل أسمائهم– إلى ضرورة إعذاره[3]. اختار قاسم بن محمد قول الجماعة الأولى، وأن يعرض أمره على أمير المؤمنين للنظر فيه، وكان رأي أمير المؤمنين أن لا يعذر إلى أبي الخير لما استفاض من الإلحاد وانتشاره عنه، وأمر بأن يُصلب دفاعا عن دين الله تعالى وحتى يكون عبرة لغيره[4]. وقد اختار أمير المؤمنين رأي الإمام مالك في هذه المسألة؛ حيث يقول:" وقد اختبرت فيما رأيت في الكتب أن مذهب مالك بن أنس أصحابه أفضل المذاهب، ولم أر في أصحابه فيمن تقلد مذهبه غير السنة والجماعة، فليتمسك بهذا ففيه النجاة إن شاء الله "[5].

وصل خبر إعدام أبي الخير إلى مسامع العامة والخاصة، ففرحوا بذلك واستبشروا بمقتله، بعدما استراحوا من شروره وانحرافاته، وفي هذا يقول ابن سهل:" ولما نفذ عهد أمير المؤمنين –أعزه الله– بصلب أبي الشر هذا ظهر من سرور العامة والخاصة بذلك ما لم يظهر فيهم إلا يوم أصبحوا إلى خلافته أعلاها الله" [6]. وقد تبين من خلال الخطابات المتبادلة بين الخليفة المستنصر والفقيه إسحاق بن إبراهيم حرص السلطة على ضرورة التمسك بالمذهب المالكي والأخذ بشدة على أيدي أصحاب البدع والأهواء[7].

2– قضية ابن حاتم الطليطلي[8] (عرض وتحليل)

تعود تفاصيل هذه القضية إلى سنة 457هـ/1065م، في مدينة طليطلة الأندلسية حيث رُفعت دعوى قضائية من طرف ما يقارب الستون رجلا (60)، ضد الملحد عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي، عند

---

[1] – إسحاق بن إبراهيم بن مسرة: من أهل قرطبة. وأصله من طليطلة؛ يكنى أبا إبراهيم. وكان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، متقدما فيه. وكان مشاورا في الأحكام؛ صدرا في الفتيا. وكان يناظر عليه في الفقه. وكان وقورا مهيبا، ولم يكن له بالحديث كبير علم. توفي سنة 352هـ/963م بطليطلة . ينظر: ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ج1، ص 88 .

[2] – أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم بن علقمة بن جابر بن بدر الأزدي: من أهل قرطبة؛ يعرف: بابن المشاط؛ ويكنى أبا عمر. رحل جده مع عبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنه في الجند الشاميين. وكان في عديد رجاله، وكان معتنيا بالآثار والسنن، وزاهدا ورعا، وسمع منه الناس كثيرا. وولي الصلاة بقرطبة إلى أن توفي سنة 352هـ/ 963م . ينظر: ابن الفرضي، **المصدر السابق**، ص 57 .

[3] – ابن سهل، ديوان الأحكام، ص 720 .

[4] – نفسه، ص 721 .

[5] – نفسه، ص 720-721 .

[6] – ابن سهل، ثلاث وثائق، ص 84 .

[7] – المصدر السابق، ص 53 .

[8] – هذه الفتنة عاصرها القاضي عيسى بن سهل وباشر تفاصيلها، وكل المصادر التي تناولتها أخذت عن بن سهل مثل الونشريسي في المعيار، وابن فرحون في تبصرة الحكام. ينظر: الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1509م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والأندلس والمغرب**، ج1، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص365. ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 710 .

القاضي أبي زيد عبد الرحمان بن عيسى الحشا[1]، بجملة من الأباطيل والبدع والمنكرات التي جاء بها، وكان قبل هذا رجل صالح مقبول الشهادة؛ إلا أنه انحرف وتزندق[2]. والذي كان يتتبعه ويجمع منكراته رجل من الحسبة يقال له ابن لبيد. وقد أبلغه بالمثول أمام القاضي أبي زيد، ولكنه تغيب عن الجلسة وفرّ إلى بطليموس[3].

اضطر القاضي أبي زيد إلى مشاورة أربعة (4) فقهاء من طليطلة وهم: أبو جعفر أحمد بن سعيد اللورنكي، وأبو جعفر أحمد بن مغيث الصدفي، وأبو عبد الله محمد بن قاسم مسعود القيسي، وأبو مطرف عبد الرحمان بن سلمة، وأجمعوا على إصدار قرار مكتوب ينص على وجوب قتل ابن حاتم بعد الإعذار إليه[4]. ولم يكتف القاضي بهذا؛ بل ارسل نسخا من الحكم عليه موثقة بآراء العلماء، وشهادات الشهود إلى كل من دانية، ومرسية، والمرية لمشاورة فقهائها في القضية، وجمع آرائهم[5].

أما الأباطيل التي جاء بها ابن حاتم فهي بدع ومنكرات متنوعة[6]؛ نذكرها في مايلي:

- ✓ تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية والاستهتار بها.
- ✓ الاستهزاء بحق لنبي صلى الله عليه وسلم، وقوله عنه يتيم قريش، و ختن حيدرة، وأنه لو استطاع على رقيق الطعام لم يأكل خشنه، وان زهده صلى الله عليه وسلم لم يكن عن قصد –لعنه الله –.
- ✓ الطعن والسخرية في حق عائشة وعمر وعلي رضي الله عنهم.
- ✓ إنكاره للقدر وقوله بعدم وجوب الغسل من الجنابة.

لقد أثيرت لدى الفقهاء وقتئذ عدة قضايا تخص ابن حاتم أولها؛ هل يجب الإعذار إليه أم لا؟ وثانيها هل يتاح له الدفاع عن نفسه بالتجريح في شهادة الشهود؟ وثالثها من يرثه بعد قتله؟ ورابعها هل يجب ضم ماله إلى بيت المال قبل قتله لفراره؟ وخامسها هل يجوز لأحد أن يؤويه[7]؟

[1] – هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو زيد بن الحشا القرطبي الأصل، استقضاه المأمون ابن يحيى بن ذي النون بطليطلة بعد أبي الوليد بن صاعد في 450هـ/1058م، وحمده أهل طليطلة في أحكامه وحسن سيرته، ثم صرف عنها في سنة ستين وصار إلى طرطوشة، واستقضي بدانية وتوفي فيها سنة 473هـ/ 1081م. ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 354 .

[2] – ابن سهل، ديوان الاحكام، ص 710 .

[3] – نفسه .

[4] – نفسه .

[5] – نفسه .

[6] – ابن سهل، ديوان الأحكام، ص 710. ابن سهل، ثلاث وثائق، ص 111-112.

[7] – ابن سهل، ديوان الأحكام، ص 710 .

واتفق جمع العلماء على رأي واحد في هاته القضايا، بينما اختلف بعضهم في مسألة الإعذار إليه وانقسموا إلى رأيين، قول يرى بضرورة الإعذار إليه، وهؤلاء هم فقهاء طليطلة، والثاني يرى بعدم لزوم الإعذار، ومثل هذا التوجه فقهاء قرطبة لما وصل إليهم ابن حاتم، وكل أتى بأدلته وحججه، وبعد أخذ ورد استقر رأي الفقهاء على تنفيذ الحكم بعد الإعذار إليه، وهذا الرأي هو ما أخذ به ابن سهل وقتئذ. وفي هذا يقول:" وهذه رواية ضعيفة متروكة لم يجز بها عمل من القضاة، ولا أعلم من أصحابنا مفتيا بها في الأحكام ... وإسقاط ابن عتاب وابن قطان الأعذار في مسألة ابن حاتم هذه غير سالم من الغفلة ..."[1] وهو الذي اعتمدته السلطة السياسية ونفذته في قرطبة، حيث يقول ابن سهل :" ... وبهذا أفتيت عند نفوذ الحكم على ابن حاتم وإلى قولي رجع فيه، وبه نفذ القضاء"[2] .

في هذه الأوضاع كان ابن حاتم متخفيا وفارا من مدينة إلى أخرى فاستقر ببطليوس، واطمأن فيها حتى أن حاكمها المظفر أبا بكر رفع قدره، وجعله يقرأ الكتب عليه، ولكن وصول ابن لبيد إليه جعله يغير رأيه فيه وانقلبت حالته، وتبرأ منه، فخاف ابن حاتم على نفسه فهرب إلى شنترين بالغرب، ومكث بها مدة ثم اتجه إلى سرقسطة إلى أن ألقي عليه القبض وقُدّم للمحاكمة في قرطبة سنة 464هـ/1072م[3]. بعد هذا حاول ابن حاتم الطعن في الحكم، فأمهله القاضي شهرين ثم استدعي مكبلا من سجنه أمام المعتمد على الله حاكم قرطبة، وسئل عما إذا كان قد توصل إلى دليل براءته، فأجاب بالسلب ثم سيق إلى رأس قنطرة حيث صلب وطعن برمح في حضور الحاكم وابن سهل حينها [4].

3- أوجه التشابه

اتهام بالزندقة (الجذور والخلفيات) : تتشابه القضيتان في أصول دعوتهما وخلفياتهما، فقد انطلقتا من الإلحاد والزندقة، وذلك بعد ثبوت أباطيلهما عند القضاة والفقهاء والشهود، وهي بدع تهدم الدين وتقوض أركانه وتمس أصول الاعتقاد لدى المسلمين فضلا على أهل الأندلس الذين كانوا متعصبين لمذهب الإمام مالك -رحمه الله- حكاما ومحكومين .

توحيد موقف السلطتين الدينية والسياسية : تصدي العلماء والأمراء لها، حيث توحدت آراء ومواقف السلطتين السياسية والدينية، ضد أي مساس يهدد أمن واستقرار الدولة، وأبانت القضيتان عن مدى نفوذ الفقهاء ومكانتهم

[1] - نفسه، ص 712 .

[2] - نفسه ص 713 .

[3] - المصدر السابق.

[4] - ابن سهل، ثلاث وثائق، ص 106 .

في بلاط الحكام، وقوة كلمتهم، وتلك العلاقة التي تربطهم بالأمراء خاصة في أوقات النزاعات والتهديدات الفكرية والاجتماعية .

إجماع آراء الفقهاء (موقف العلماء) : موقف علماء الأندلس الموحد من البدع وأهل الزندقة وعدم التسامح معهم، ولكن هذا لم يمنعهم من إعطائهم حقهم في الدفاع عن أنفسهم، حتى تقام الحجة ويتضح عوار اعتقادهم المنحرف للناس فيلقون جزاءهم المحتوم .

التأريخ لهما عند ابن سهل : جاء التأريخ للحركتين عند نوازل ابن سهل، فقد عالجهما من زاويتين مهمتين، الأولى تاريخية حيث روى تفاصيلهما بعقلية المؤرخ الأمين، والثانية فقهية حينما عالجهما بآراء الفقهاء واجتهاداتهم، وكان قد عاصر إحداهما وحضر تفاصيلها، بل وكان من الفاعلين في مجرياتها؛ وهي قضية ابن حاتم الطليطلي في قرطبة، التي أفتى بالإعذار له وبه قضي .

أسلوب تعامل السلطة (موقف الأمراء) : لم يقبل أمراء الأندلس وخلفائها بأي حركة من الحركات الهدامة والتي تحمل أفكار تناقض مذهب أهل البلاد أو تعادي ما أجمع عليه فقهاء الأندلس، حيث تم القضاء على الحركتين باستخدام القوة والعنف مباشرة، وانتهى مصير أبي الخير وابن حاتم بالقتل .

4- أوجه الاختلاف

حاولت الدراسة معالجة هذه الجزئية عن طريق جدول مقارنة، وقد وضعنا فيه الكثير من المحددات التي على أساسها أوجدنا تلك الفروقات بين الحركتين، وبالتالي تتضح أكثر وبشكل أسهل وأقرب للفهم والتصور، وهي على الشكل التالي:

المحددات	فتنة ابي الخير	فتنة ابن حاتم الطليطلي
الأبعاد (الدوافع)	سياسية (جاسوس للدولة الفاطمية) دينية هدامة	دينية عقائدية هدامة
الشخصية	غامضة ومجهولة بعيدة عن أهل العلم	معروفة من اهل الصلاح ومقبول الشهادة
عدد وأسماء الشهود	45 شاهدا ذكر منهم ابن سهل 18 فقط بأسمائهم وشهاداتهم، وكلهم من العدول	60 شاهدا من الثقات والعدول، ولم يذكر ابن سهل أسماءهم ولا شهاداتهم.

الدفاع (الإعذار)	عدم اعذاره لشدة شره وخبث تصرفاته وأقواله، واجماع العام والخاص عليه.	إعذاره وترك له حرية الدفاع عن نفسه.
الزمان	فترة الخلافة حكم الخليفة المستنصر بالله (350- 366هـ) القرن 4هـ/ 10م	فترة ملوك الطوائف القرن 5هـ/11م
المكان	قرطبة	طليطلة
المدة	قضي عليها في حينها	تأخرت سبع (7) سنوات بسبب ملاحقته وتقديمه للمحاكمة
رد فعل الزنديق	استسلم مباشرة ونُفذ فيه الحكم	هرب الى عدة مدن وتمت ملاحقته وصلبه
موقف العلماء	الاجماع بالحكم عليه بالقتل مع على عدم الإعذار	الاجماع بالحكم عليه بالقتل وانقسموا في الاعذار بسبب تعدد المدن التي فرّ إليها.
الانتشار والتأثير	قرطبة فقط فرح الناس بحكم إعدامه	طليطلة – بطليوس – شنترين – سرقسطة – قرطبة

خاتمة

ومن خلال ما سبق اتضح لنا أن الزندقة هي حركة دينية سياسية ظهرت في البداية تمثل المانوية أصحاب المفكر ماني الذي ثار ضد الزرادشتية، ثم تطورت دلالتها حتى صارت تشمل كل الملحدين والمتشككين. ومن أهداف هذه الحركة الهدامة طمس العقيدة الإسلامية وتقويض الدولة الإسلامية، وبعث أمجاد الدولة الفارسية. هذا ولم تظهر الزندقة في القرن الأول الهجري بسبب قوة الخلافة الأموية ومقاومتها لأصحاب الملل ولمناقضة للإسلام، وبالتالي نشأت في القرن الثاني الهجري.

اجتمع العديد من العوامل التي ساعدت على انتشار الفكر الزندقي في الأندلس، ويأتي على رأسها العامل السياسي في رغبة حكام الدولة الفاطمية في تقويض أركان الخلافة في الأندلس، إضافة إلى العبث الفكري وانتشار

التسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين. لكن الأندلس ظلت حصنا منيعا أمام التيارات الفكرية الهدامة بفضل رجال العلم والفقهاء من المالكية الذين وضعوا أيديهم مع الحكام الامويين، ووقفوا بالمرصاد لكل ما هو غير سني مالكي في البلاد .

تنوعت مظاهر الزندقة في الأندلس فانتشر أصحاب الأهواء كمدعو النبوة والدجالين والملحدين وكلهم انغمسوا في الانحلال الخلقي والطعن ثوابت الأمة الإسلامية. كما ظهرت بعض الخلافات الفقهية والعقدية مع بعض العلماء أمثال بقي بن مخلد وأبو الوليد الباجي وغيرهم الذين اتهموا بالزندقة وحوربوا من طرف فقهاء البلاط.

لقد تشابهت حركتا ابي الخير وابن حاتم الطليطلي في مطلقاتهما فقد كانت خلفية دينية عقدية زندقية، وثبتت منكراتهما بعد إجماع الشهود في الطرفين بأعداد كبيرة وصلت إلى أنه يستحيل تكذيبهم جميعا، وهنا جاءت آراء العلماء الأندلسيين موحدة في الحكم عليهما بالكفر والمروق من الدين واستباحة دمهما. كما وافقت السلطة السياسية ذلك وأيدته بقوة السيف. وقد تعامل معهما ابن سهل في كتابه ديوان الأحكام بعقلية الفقيه الذي يتحرى جوانب المسألة في أحكام النوازل، كما كانت الملامح التاريخية لشخصيته واضحة؛ وهو يتتبع مجريات الأحداث وينقلها بأفكار متسلسلة يغلب عليها النزعة الفقهية.

وقد تباينت الحركات في كثير من العناصر منها: الأبعاد والدوافع وشخصية كل طرف، إضافة الى عدد وأسماء الشهود في القضيتين، وفي جانب الدفاع كذلك افترقتا فأبي الخير لم يعذر له العلماء؛ بينما ابن حاتم اختلفوا فيه الى ان استقر الرأي على اعذاره. وقد لاحظنا أن الفكر المنحرف في الأندلس لم يكن في فترة زمنية واحدة بل متذبذب؛ فحركة أبي الخير ظهرت في عهد الخلافة، بينما ابن حاتم كانت في عهد الطوائف.

قائمة المصادر والمراجع

1- العربية

1- إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري (ت799هـ/1397م)، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، ج2، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1986.

2- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، ج4، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، 1995.

3- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1138م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، ط2، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، 1955.

4- ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت468هـ/1076م)، **المقتبس لابن حيان**- الجزء الخامس-(القطعة الرابعة)، تح: شالميتا مستعينا بكورينطي ومحمود صبح، مدريد، المعهد الاسباني العربي للثقافة، 1989.

5- أبو الاصبغ عيسى بن سهل الاندلسي، **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس**(مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، مصر، ط1، 1981.

6- حسين عطوان، **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

7- الحميدي: أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت 488هـ/1096م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، القاهرة، مصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966.

8- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، ج13، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1998.

9- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ/1348م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام**، مج6، تح: بشار عوّاد معروف، ط1، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.

10- رابطة المحمدية للعماء، **الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام لعيسى بن سهل الجياني** (2015/03/24)، https://www.arrabita.ma/blog/ (2023/04/06)، 22:40.

11- رقية بن خيرة، **الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين**(ق11-12م) –دراسة في ظاهرة الانحراف-، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، 2017.

12- زكرياء سعيدي، **حركة ابن مسرة القرطبي من خلال كتاب المقتبس لابن حيان الأندلسي** 3-4هـ/9-10م، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، المجلد6، العدد02، 2022.

13- عبد الرحمان بدوي، **من تاريخ الالحاد في الإسلام**، سينا للنشر، القاهرة،ط2، 1993.

14- عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: 900هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، ط2، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، 1980.

15- عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مج1، ط4، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، 1997.

16- عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت486هـ/1093م)، **ديوان الاحكام الكبرى**، تح: يحي مراد، دار الحديث ، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007.

17- فاطيمة هارون، **مظاهر الزندقة بالأندلس من خلال كتاب "الاعلام بنوازل الأحكام" للقاضي عيسى بن سهل الأسدي**(ت486هـ/1094م)، مجلة المعيار، جامعة العوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، مجلد

18- فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج1، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

19- ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت 403هـ/1013م)، (1988)، **تاريخ علماء الأندلس**، ج1، ط2، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.

20- أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/1150م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ج7، تح: سعيد أحمد أعراب، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1981-1983.

21- ماريا ايزابيل فييرو(Maria Isabel Fierro)، **الزندقة والبدع في الأندلس**، تر: يعقوب دواني، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مج2 . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

22- محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت1353هـ/1934م)، **إكفار الملحدين في ضروريات الدِّين**، المجلس العلمي، باكستان، ط3، 2004.

23- محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت 379هـ/989م)، **طبقات النحويين واللغويين** ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، (د.ت).

24- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج3، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).

25- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي أبو العباس المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج1، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة

26- النباهي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (ت 792هـ/1390م) **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)** تح:

27- أبي نصر الفتح بن خاقان الإشبيلي، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح: محمد علي شوابكة ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983.

28- هاني السيد سباعي يوسف، **زنادقة الأدب والفكر قراءة في تاريخ الزندقة قديما وحديثا**، نسخة المكتبة الشاملة.

29- أبو الوليد الباجي الأندلسي، **الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل**، تح: محمد علي فركوس، ط1، المكتبة المكية، مكة المكرمة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1999.

30- أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت 474هـ/1082م)، **المنتقى شرح الموطأ، ج6**، ط1، مطبعة السعادة، مصر، القاهرة، 1914.

31- الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1509م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والأندلس والمغرب**، ج1، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، بيروت، لبنان، دار الغرب.

2- الأجنبية

32 - Maria Isabel Fierro Bello, **Accusations of 'Zandaqa' in al-Andalus**

33 - Zainab Ahmedond ,**The role Zandaghah in Iranian uprisings against Arabs In the first centuries AH**, The Islamic University college Journal, The Islamic University of Najaf, No:63, Part:2.